معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

﴿ النَّسْر . المُكَلَّفة . كاسر العظام . الفَيْنة (يونانيتها Phene) ﴾

Gypaetus barbatus. E. Bearded vulture or ossifrage. F. Phene ou vautour barbu.

طائر من سباع الطير بين النسر والعقاب يحمل كل عظم فيهِ مخٌّ حتى اذا كان في كبد السماء ارسلهُ على صخرة فينكسر فيهبط فيأكل مخهُ ولذلك سمي كاسر العظام بالعربية واللاتينية وهو يرس بالعبرانية اي انكاسر يقابلها مادة فرس بالعربية . ويعرف هذا الطائر في السودان بابي دقن (barbatus) لان لهُ ما يشبه اللحية

اما لفظة الفينة فهي الفيئة في ما وقفت عليهِ من كتب اللغة ويظهر ان الدميري قرأها الفينة واظنهُ مصيب في ذلك قال « الفينة طائر يشبه العقاب اذا خاف البرد انحدر الى اليمن قالهُ ابن سيده والفينات الساعات يقال لقيتهُ الفينة بعد الفينة فكأن هذا الطائر لما كان في حين ينحدر الى اليمن وفي حين آخر يذهب عنها سمي باسم الزمان » . وفي المخصص لابن سيده « الفيئة طائر يشبه العقاب فاذا خاف البرد انحدر الى اليمن وهو من الفيء اي الرجوع » . فتجد ان الدميري نقل القسم الاول من عبارتهِ عن ابن سيده وخالفهُ في قراءة اللفظة واشتقاقها وعندي انهُ مصيبٌ في القراءة ولعل اللفظة يونانية وقد وردت في اوذيسية هوميروس وكتاب النعوت لارسطو وغيرهما وقيل ان اسخولس الشاعر اليوناني المشهور قتلتهُ فينة وذلك انهُ خرج يومًا حاسر الرأس وكان اصلع فرأتهُ فينة تحمل سلحفاةً كبيرة فالقتها عليهِ ظنًّا منها ان رأسهُ صخرة ملساء فقتلتهُ . وكثيرون من علماء الافرنج قرأوا هذه اللفظة فينةً في الدميري منهم بوخارت وسافيني وغيرهما

وهذا ما جاء في كتاب النعوت لارسطو عن هذا الطائر قال « والعقاب تبيض ثلاث بيضات ينقف منها اثنتان فقط فمتى قوي فرخاها القت واحداً منهما فتعطف عليهِ الفينة وتربيهِ » (كتاب النعوت ٦ : ٦ : ١) . وقال الجاحظ ما نصهُ « زعم صاحب المنطق انهُ ليس شيءٌ في الطير اجفى لفراخهِ من العقاب وانهُ لا بد من ان يخرج واحداً وربما طردهن جميعًا حتى يجيء طائرٌ يسمى كاسر العظام فيتكفل بهِ » . وقال الدميري وهو بلا ريب ترجمة كلام ارسطو

ايضاً « والعقاب تبيض ثلاث بيضات في الغالب وتحضنها ثلاثين يوماً .... فاذا خرجت فراخ العقاب القت واحداً منها لانهُ يثقل عليها ظم الثلاث وذلك لقلة صبرها والفرخ الذي تلقيهِ يعطف عليهِ طائر آخر يسمى كاسر العظام ويسمى المكلّفة فيربيهِ » . وقال عن المكلّفة ما يأتي « المكلّفة طائر قال الجاحظ لما كانت العقاب سيئة الخلق تبيض ثلاث بيضات فتخرج فراخها فتنفي واحداً منها فيأخذهُ هذا الطائر الذي يتكلّف بهِ قيل لهُ المكلّفة ويسمى كاسر العظام فيربيهِ »

وفي المخصص لابن سيده « السئل طائر مثل النسر عظيم يضرب الى السواد يحمل عظم الفخذ من البعير او الساق او كل عظم فيهِ مخ حتى اذا كان في كبد السماء ارسلهُ على صفا او صخرة فيكسر فيهبط فيأكل مخهُ »

فيظهر مما تقدم ان النيبة والسئل والمكلفة وكاسر العظام اسماء لهذا الطائر المسمى Phene عند اليونان و Ossifragus عند الرومان Gypaetus barbatus عند علماء الحيوان كما يتضح من وصفهِ في مؤلفاتهم

قلت ان هذا الطائر يسمى برّس بالعبرانية وقد ورد ذكرهُ في التوراة وهو الانوق في الترجمة العربية ولا يخفى ان الانوق طائر آخر سيأتي ذكرهُ وارى ان ترجمة اللفظة العبرانية بكاسر العظام او السئل اقرب الى الصواب

﴿ الرخمة - الأنوق ﴾ Neophron percnopterus. E. Egyptian vulture or Pharoah's hen. F. Percnoptère ou poule de Pharaon.

طائر يقع اصلع الرأس اصفر المنقار وهو في عرف علماء الحيوان نوع من النسور والعامة في الشام تسميهِ النوحة . اما في المغرب ومصر والسودان وبلاد العرب فيعرف بالرخمة الى هذا اليوم

وفي دائرة المعارف العربية الرخمة طائر آخر يعرف بالحوصل او جمل الماء Pelican ولعل ذلك مأخوذ عن مقالة للمرحوم الدكتور زلزل في السنة الثانية من المقتطف صفحة ٥٨ ، والذي اراهُ ان وصف الرخمة في كتب اللغة وغيرها ينطبق على وصف الطائر المعروف بهذا الاسم في وقتنا الحاضر كما ذكر بروس وسافيني وترستام وغيرهم من السياح والعلماء الذين سمعوا هذه اللفظة من العرب وهي الترجمة المعوّل عليها عند المستشرقين وعلماء التوراة . ويسمى هذا الطائر راخام بالعبرانية ويظن ان الاسم العربي والعبراني من مادة رحم او رخم وسميت الرخمة بذلك

لينها او عطفها على اولادها ومن هذه المادة اشتقت الفاظ كثيرة ترجع كلها الى العطف او اللين او الحنو الوالدي كالرحمة والرحم والرخامة والترخيم ورخمت الدجاجة اي حضنت بيضها والفاظ كثيرة غيرها كما يتضح من مراجعة باب رحم ورخم في كتب اللغة . وذكر بروس نقلاً عن هورس افلون ان الرخمة كانت رمز الحنو الوالدي عند قدماء المصريين ولا يخفى هذا الرأي من الصحة فالعرب كان عندهم شيء من هذا فقد جاء في الدميري في باب الأنوق ان في اخلاق الرخمة اربع خصال تحضن بيضها وتحمي فرخها وتألف ولدها ولا تمكن من نفسها غير زوجها . وقيل ان الرخمة سميت بذلك للونها تشبيهاً لها بالشاة الرخماء وهي التي ابيض رأسها وعنقها واسود سائرها [1]

اما وصف الرخمة في كتب اللغة فينطبق على وصف الطائر المعروف بالشوحة في الشام فالرخم في محيط المحيط « طائر ابقع يشبه النسر في الخلقة ويقال له الأخرق (صوابها الأنوق) يختار لبيضه اطراف الجبال الشاهقة ومواضع الصدوع وخلال الصخور ليعسر الوصول اليه والعلة تسمية الشوح » . وفي المخصص « الرخمة طائرة ضخمة بيضاء تأكل الجيف ولا تصطاد ويقال لها الانوق ... وربما خالط لونها الاختماس يعني النقط الصغار لا ترى والرخمة بعظم العقاب ولا تبيت الا في ارفع موضع تقدر عليه ... ولا يرى بيض الانوق الا في شق جبل او رأس عضاهة [2] لا يقدر عليه » . فني بعض كتب اللغة الرخمة طائر ابقع وفي غيرها طائر ابيض ربما خالط لونه الاختماس وكلاهما صواب لان الرخمة قبل بلوغها يضرب لونها الى السواد ثم تبيض شيئاً فشيئاً

الدكتور
امين المعلوف

---

(١) كذا ورد وصف الشاة الرخماء في كتب اللغة وذكر بروس في رحلته ان الشاة الرخماء في اليمن ما اسود رأسها وعنقها وابيض سائرها وهي الدرعاء في كتب اللغة وهذه الغنم نراها احياناً في اسواق مصر ويسمونها الغنم الحبشية وقد رأيتها مراراً ولا اقدر ان اتذكر هل هي كما قال بروس او عكس ذلك

(٢) العضاه كل شجر يعظم وله شوك وأكثر العضاه المعروفة عند العرب من جنس الاقاقيا Acacia كالسنط والسلم والسمر والطلح والسيال وهذه الاسماء معروفة في السودان الى يومنا كما جاء عنها في كتب اللغة . ومن العضاه ايضاً الاراك Salvadora لكنه ليس من الاقاقيا